المعجم والخطاب الأدبي

د. عبد الغني أبو العزم

عالم لغوي، ورئيس سابق للجمعية المغربية للدراسات المعجمية

ملخـص:

تهدف هذه الورقة إلى وضع اليد على العلاقة القائمة أو الممكن قيامها بين المعجم والخطاب الأدبيّ من خـلال عـرض الإشكالات الرئيسة التي من المفترض توقعها ونحن نعالج كل من المعجم والأدب باعتبار هذا الأخير مجرد قواعد لغويّة وعاطفية هي في الأساس مستمدة من مظـان المعجم، ولهذا فلا يمكن أن نتصور خطاباً أدبياً قديماً أو حديثـاً بدون مراعـاة هذا التعالق الجدلي بين اللغـة الأدبية وكيف تصير مفرداتها لغة معجمية.

Dictionary and Literary Discourse

Cet article vise à mettre la main sur la relation existante ou possible mettre la main sur la relation existante ou possible entre le lexique et le discours littéraire en présentant les principaux problèmes qui sont censés être attendus alors que nous traitons à la fois le lexique et la littérature car ces dernières ne sont que des règles linguistiques et émotionnelles qui sont essentiellement issus des perceptions du lexique. On imagine un discours littéraire ancien ou moderne sans tenir compte de cette relation dialectique entre langue littéraire et langue lexicale.

This article aims to get hold of the existing or possible relationship to get hold of the existing or possible relationship between lexicon and literary discourse by presenting the main issues that are supposed to be expected as we deal with both lexicon and literary discourse. Literature because the latter are only linguistic and emotional rules which are essentially derived from the perceptions of the lexicon. We imagine an ancient or modern literary discourse without taking into account this dialectical relationship between literary language and lexical language.

يشكل الخطاب الأدبي مـادة أساسيّة بالنسبـة للمعجم، إذ لم يكن جوهر حـركيّته، ويطرح إشكالات من حيث المضمون والشكل، كما يطرح علاقة جدليّة متفاعلة، وفي هذا الصدد فإن الخطاب الأدبي يستند إلى قواعد منطقيّة قاعديّة لكي يبرر ما يرغب فيه، وإن المقصود بالذات وجود إشكاليّة في علاقة المعجم بالخطاب الأدبي ضمن التصور الذي نود تطبيقه.

وعندها يطرح السؤال حول ماهية الأدب، حيث إن الخطاب الأدبي يستند إلى قواعد منطقيّة وعاطفيّة في آن واحد، حيث يرتبط كل منهما بظرفيّة تاريخيّة، لكي يبرر ما يرغب فيه، وعدم إلغاء أي اجتهاد على ألا يكون متعارضاً مع التوجهات العامة، ولأن المقصود بالذات السعي من أجل فهم هذا التفاعل القائم بين الخطاب الأدبي والمعجم.

أكيد أن هناك صعوبة ليس من السهل تجاوزها، إذا لم يتم تحديد المنهجيّة الخاصّة التي نود تطبيقها لإنجاز المعجم، كما هو الشأن بالنسبة للأدب، أي نوع من الأدب ينبغي أن تكون استشارته مادة للمعجم. الذي يمتاز بميزة خاصة فريدة، لكونه يُقَدِّمُ بكـل عناصره الوظائف اللغويّة، بحسب تعبير آلان ري.[1]

والحديث عن الأدب لا يقصد به الاستشهادات فقط، بل الرؤية الشموليّة لهذا الأدب.

يتكون الأدب من كلمات وجمل وتعابير رائجة في المجتمع. أو في ثنايا مختلف النصوص الأدبيّة، مع التأكيد أن أغلـب النصوص ملائمة لتصبح مـادة معجماتيّة. والمطلوب هنا يكمن في أساليب الصياغة، ووضوح العبارة، وجزالة اللفظ، إذ بما أن للمعجم منهجيّته، فإن الكلمات في هذه الحالة تخضع بطاقتها التعبيريّة للمنهجيّة المعجماتيّة التي تتطلب الدقة في شرح الألفاظ، واختيار النص الملائم لتشكيل البنية الصغرى. هنا لابد من الإشارة إلى ضرورة تحديد نوعيّة المعجم الذي نريده في علاقته بالأدب، ثم بعد ذلك نحدد علاقة الأدب بالمعجم.

إن المعجم الذي نقصده في هذه المداخلة يهتم بالثقافة اللغويّة العامة، في ضوء اهتمامه بتعدد الأساليب، أساس اللغة، أي تحديد ما هو بلاغيّ، ومجازيّ، واجتماعيّ،

(1) Alain Rey, Le statut du discours littéraire en lexicographie, *in lexique 12/13 dictionnaire et littérature, littérature et dictionnaire*. P.U.S. p. 17.

وإبداعيّ، والأدب المقصود كذلك أدب مختلف العصور، حيث إن كل عصر له أسلوبه الخاص به في علاقته بتطور المجتمع والسياقات، واختلاف المواضيع، مما يسمح بتنوع مداخله، وتنوع مادته اللغويّة، واختلاف العصور يشير بالضرورة إلى اختلاف طبيعة اللغة ومحدثاتها، إلا أن الكلمات تظل حاملة لِشحْنَتِها وطاقتها الإبداعيّة والفكريّة، وكما يقول عن ذلك جيوفاني دوتولي (Giovanni Dotoli): الأفكار والكلمات، أي ما يقصد به عالم الكلمات مثل الأفكار، الدال والمدلول، وهما غير منفصلين أبداً[2]، كما هو الشأن عند قراءة نصوص نثريّة متنوعة، وتحديد نصوص نثريّة مختلفة الأنواع، وكما تُقَدِّم الواقع.

ولقد كنت دوماً أعتبر المعجم خزان اللغة. وهو بذلك أداتُها المتحركة في تطورها، كما أنه ديوانُها، يدوِّ ن طبيعة الكلمات، ويسجل حركاتها وأنواعَ ها بكل انتماءاتها النحويّة، وما يتعلق بالمعلومات الخاصة بها، على مستوى الخط والصوت والانتساب الإيتيمولوجيّ، وعلى مستوى الدلالة والقيم التعبيريّة، وأنماط الاستعمال، وعلى مستوى التخصص العلميّ بكل فروعه.[3]

من خصائص هذه الموضوعات أنها ترتبط ارتباطاً عضويّاً، وهذا ما يميز المعجم الحديث المنفتح بفيض ثروته اللغويّة على مادة العلوم، أي لغاتها ومصطلحاتها، وإذا ما أضيفت العلوم إلى اللغة والأدب، آنئذ تكتمل بنية ثلاثيّة تجعل من المعجم مادة حداثيّة بامتياز.

وهكذا نجد ترابطاً وتكاملاً للتصور الذي نعطيه للمعجم، وبذلك يتضمن الحديث عن الثالوث ضمن وحدة مترابطة لاكتشاف كنز اللغة في ضوء اللسانيّات وميتامعجماتيّة، وثقافة تراثيّة، وثقافة فلسفيّة، وعلميّة، وأدبيّة.

يشير مصطلح الخطاب الأدبيّ في هذا العرض، لما يصطلح عليه في الدراسات المعجماتيّة بالمدونة اللغويّة التي يحتاج إليها المعجماتيّ في أثناء إنجاز معجمه، لكونها تتضمن تفاصيل المادة اللغويّة، التي يحتاجها في تعامله مع كل مدخل من مداخل المعجم، من أفعال ومصادر وصفات وحروف ومصطلحات أدبيّة وحضاريّة وفنيّة

(2) Alain Rey, des pensés et des mots, préface : Giovanni Dotoli, Ed. Hermann langre, p. 5.

(3) عبد الغني أبو العزم، مقدمة معجم الغني الزاهر، ص. 7.

وعلميّة، وكذلك فيما يخص مادة الاستشهادات المأخوذة من نصوص شعريّة ونثريّة مختلفة المناحي.

يتضمن محتوى الخطاب الأدبيّ ومكوناته ومقتضياته قاعدتين صلبتين متضامنتين غير قابلتين للانفصال في حد ذاتهما:

1. الأسلوب: يعد الأسلوب ذا خاصّيّة تفرض نفسها على المعجماتيّ لإنجاز معجمه، مما يجعل المعجم مُهَيّأ لتأدية دوره بدقة، كما يعطي للمفردات عمقها وصيغتها المعجميّة، وآليّات تراكيبها، ومن دونها يفقد المعجم جوهره.

2. المفردات النصيّة: تشكل المفردات العمود الفقريّ لأي معجم، باعتبارها المادة الحيويّة التي يتم الرجوع إليها من حين لآخر لمعرفة دلالاتها، وأغلب هذه المفردات مأخوذة من نص من النصوص، وهي فوق هذا وذاك، تعطي للمعجم دلالاته المعجميّة، مما يتجلى في ترتيبها ترتيباً معجميّاً، بالإضافة إلى شروحها وتحليلها بحسب المنهجيّة التي يسطرها المعجماتيّ.

وهكذا يمكن القول، إن الخطاب الأدبي بحاجة ماسة للمعجم، لكي يفسر مفرداته أو مصطلحاته، وليؤكد ماهية مادته اللغويّة، ولكي يغذي كل توجهاته فهو بحاجة إلى المادة اللغويّة الموجودة في الخطاب الأدبي، وبذلك يكون المتلقي في وضع مريح لاكتسابه لغة الخطاب الأدبيّ.

وفيما يتعلق بمسرد المفردات، فإن الخطاب الأدبي بما يدل على طبيعة نمطه التعليميّ أو الاجتماعيّ أو الوطنيّ، كما هو الشأن بالنسبة لما يراد تأكيده من معان وحوارات تستخدم ذات المفردات بأبعادها الاقتصاديّة والاجتماعيّة، والثقافيّة، أو الحضاريّة أو التقنيّة، وفي هذه الحالة مواكبة تطور الأفكار لإغناء المعجم، فالمعجم تدور ألفاظه حول معان متعددة إذ يسعى لتسويغ كلام اللغة بما يتضمن منها سواء أكانت قديمة أم حديثة، وكل ذلك ناتج عن ثقافة اجتماعيّة وفكريّة، وهذا ما يدعو إلى استحضار الوعي الذاتيّ، والوعي الاجتماعيّ والحضاريّ، في شرح الألفاظ.

ما مادة الخطاب الأدبيّ؟ هي مجموع النصوص الشعريّة والنثريّة ومجالاتها أدباً واجتماعاً وتاريخاً وفلسفة ومصطلحاً، لا شك أن التفكير في المعجم اللغويّ يستدعي

حضور مادة الخطاب الأدبيّ، وقد أضحت متعددة المناحي والأبعاد، وعلى سبيل المثال الأقطار العربيّة، وقد اتسعت رقعتها الجغرافيّة، مما يخلق إشكالا، ويجعل الإحاطة بكل المواد المتعلقة بأدبها صعبة، فإذا كانت الوحدة الثقافيّة بالنسبة للشعوب العربيّة قد تشكلت منذ العصور الأولى للتاريخ الإسلاميّ، أي منذ العصر الجاهليّ والإسلاميّ والأمويّ والعباسيّ والفاطمي إلى بداية عصر النهضة، فإن العصر الحديث قد عرف اتساعاً يتعذر معه الإلمام بكل تفاصيله، مما يفرض الانتقاء على قاعدة الشيوع والتداول بالنسبة لأي بقعة جغرافيّة من الأقطار العربيّة، وهذا ما حاولنا تطبيقه في معجم الغني الزاهر.

- **استراتيجيّة تشكيل المدونة اللغويّة:**

قد يطرح السؤال التالي: ألا تعد المدونة اللغويّة خطاباً أدبيّاً؟ لا بد هنا أن نحافظ على الدلالة المصطلحيّة لكل مصطلح، هناك طبعاً ما هو مشترك بينهما، ولكن لكل منهما طابعه الخاص ودلالته الخاصة به، وبالتالي يوجد فرق يتجلى، في كون المدونة لها مادتها الخاصة بها، تكتسي صبغة شموليّة، على عكس الخطاب الأدبيّ يكتسيّ صبغة مركزيّة ومتعلـق بــذاته، ويؤدي وظيفة مباشرة، تفرض أن تكون نهائيّة وحاسمة، يمكن القول كما عبر عن ذلك ألان ري (Alain Rey) إنه في اللحظة التي يتم فيها إنشاء المدونات الاستطراديّة، حيث تتحدد مكانة الخطاب الأدبيّ في المشروع المعجماتيّ، لا شك أن هذه المكانة متغيرة بحسب غائيّات توجهاتها، حيث تؤدي المادة الأدبيّة دوراً مضاعفاً بالنسبة للموضوعات المعجماتيّة.[4]

يمكن أن نلخص جوهر ما في المدونة اللغويّة، في أنها تضم أغلب النصوص الأدبيّة شعراً ونثراً، بالإضافة إلى الوحدات اللغويّة والمسكوكات والمتلازمات والمترادفات والمصادر.[5]

ترتبط المدونة اللغويّة بالإطار العام لطبيعة المعجم، وما يراد به من أهداف، إذ أن حصرها أو امتدادها يظل محدداً بغاياته التربويّة واللغويّة والمعرفيّة، واختيار كل مدونة بحسب قواعد مرسومة، كما أشرنا إلى ذلك، هو ما يوضح البعد المعجماتيّ، مدى تحقيقها للأهداف المبتغاة.

(4) Alain Rey, Le statut du discours littéraire en lexicographie. p. 21.
(5) Op. Cit, p.100.

وفي خضم كل هذه التوجهات، ينبغي أن يتم قرار الحسم في منهج الترتيب، أي ترتيب يجب اعتماده:

أ- ترتيب بحسب جذر الكلمة/ المدخل ومادة مشتقاته.

ب- أو ترتيب بحسب نطق الكلمات.

مع العلم أن الآلة الإلكترونيّة أصبح بإمكانها أن تنجز أي ترتيب يطلب منها.

• استراتيجيّة الشاهد الأدبيّ:

ليس من السهل اختيار الشاهد الملائم للمقام، إذ يعيش المعجماتيّ في حيرة من أمره، وبالأخص إذا اجتمع لديه عدد من الشواهد تشترك في تناول الموضوع نفسه.

ينبغي في هذه الحالة وضع مقاييس يتم الاستناد إليها، واعتمادها في الاختيار، وهي كما يلي:

- شاهد أدبيّ يتضمن حِسّاً بلاغيّاً في سياق معناه المحدد أو معانيها المحددة.

1. مشكل بالشكل التام؛

2. ألفاظه قصيرة؛

3. صاحبه معروف.

- الوحدات اللغويّة: تلتقط الوحدات اللغويّة من مدونات النصوص الأدبيّة، تختلف معانيها بحسب السياق، هذا بالإضافة إلى تعابير شائعة، ومسكوكات، ومتلازمات، وتراكيب.

نعتبر ما وضعه كل من معجم ليتري (Littré Emile)[6] وما قام به آلان ري في معجم لوبتي روبير (Le Petit Robert)[7] من أدق الاستراتيجيّات الخاصة باختيار الشاهد الأدبيّ، من دون استبعاد طبعاً لوبتي لاروس (Le Petit Larousse) لاعتماده على المقولة التالية: مكانة الأدب في التمثيل ومكانة التمثيل، التي تتم ملاحظتها في الوصف.[8]

(6) Littré Emile, 1863-1873, Dictionnaire de la langue française, Librairie de L. Hachette, 1877, Pa

(7) Le Nouveau Petit Robert, Paul, Robert, voir préface de Josette Rey Debove et Alain Rey, IX-XXI, 1994.

(8) Alain Rey, Le statut du discours littéraire en lexicographie, op. Cit, p. 21.

• **اختيار المدونة اللغويّة:**

في الوقت الذي يراد فيه تكوين المدونة اللغويّة، حيث تتحدد مكانة الخطاب الأدبيّ في المشروع المعجماتيّ، لا شك أن هذه المكانة المختلفة بحسب مستوى غائيّة الخطاب اللغويّ وبالنسبة لمضامين المدونة المعجماتيّة[9]. ونلاحظ هنا أن النص الأولي في واقعه يحمل وظيفة ذات سلطة في تكوين نمط لسانيّ.[10]

• **اختيار الوحدات:** ما بين مدونات النصوص الأدبيّة والنصوص الموازية غير الأدبيّة ومجموع الاستشهادات المندمجة في المعجم، وعدد من الوسائط المستعملة والتي تؤدي عدداً من الأدوار. بعد اختيار الوحدات الإيضاحيّة التي نعني بها المسكوكات والمتلازمات والأمثال القصيرة، لا ترتبط فقط بالبنية الكبرى، كما هو الشأن بالنسبة للمولدات الشكليّة.

تؤدي الاستشهادات الأدبيّة وظائف متعددة، وأكرر ذلك مراراً، إنها تؤكد وتعبر عن وقائع اللغة، ووقائع الاستعمال بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، إنها تساهم في ترسيخ نمط أو أنماط الاجتماع، كما تؤكد على الطابع الفيلولوجيّ، أي ما يلاحظه المعجم.

المعجم ظل، وسيظل أداة علميّة، ذات منفعة دائمة، يتطور مع تطور اللغة، ويستقصي محدثاتها ومصطلحاتها وتعابيرها، والأدب جذوره في اللغة، منها يستقي ألفاظه ومعانيها من خلال ممارسة اللغة، يعكس الأدب حياة الناس وأحوالهم، وإحساساتهم ونزعاتهم وعواطفهم، وهذا ما يساعد صاحب المعجم على بلورة منهجيّته، وتوسيع أفق مفرداته، وأساليب لغته، لأن لكل عصر لغته والعكس صحيح أيضاً، فالمعجم معلم قابل للتطور والتحديث، لنأخذ مثالا المعجم الوسيط[11] الذي أشرف عليه مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة: فمنذ صدوره 1960 لم تتم مراجعته، أو إضافة أي مصطلح، إلا ما كان من طبعة 1973، وعلى عكس معجم لوبتي لاروس (Le Petit Larousse)[12] أو معجم لوبتي روبير (Le Petit Robert) ففي كل سنة تصدر منهما طبعة جديدة، تتضمن الكثير من الإضافات والمصطلحات والمفردات المحدثة.

(9) Op. Cit, p.21.
(10) Op. Cit, p.17.
(11) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربيّة، ط.I، ط. 1973 ،III، القاهرة.
(12) Larousse, P. Le Petit Larousse, Paris.

• **الخطاب المعجماتي:**

يعد الخطاب المعجماتيّ، خطاباً معرفيّاً بامتياز، يسعى لسبر أغوار معاني الكلمة، إيتيمولوجيّاً وتجريديّاً وحقيقيّاً ومجازيّاً، في محاولة لاكتشاف مجمل دلالاتها في سياق استعمالاتها، مما يساعد المتلقي على ترسيخ المعرفة اللغويّة لفهم النصوص المتداولة في مجمل الكتب على اختلاف أنواعها وأجناسها.

لا شك أن هذه الرؤية المعرفيّة اللغويّة تطرح بناء معان جديدة كثيرة، فيما يخص إيجاد معجم يتلاءم معها، ويساير أهدافها لتحقيق ماهية الخطاب المعجماتيّ، وهي إشكالات متوازية، ومتقابلة ومكملة، وروافد، لكونها تعد من ركائز الإنجاز المعجماتيّ، وقد صاحبت التفكير في إيجاد معجم منذ بدايته، وعرفت تطوراً تصاعديّاً عبر مراحل التاريخ اللغويّ، لذا يمكن إجمال ركائز الإنجاز المعجماتيّ فيما يلي:

1. ترتيب المداخل؛

2. التعريفات؛

3. المدونة اللغويّة؛

4. الاستشهادات.

إن ما يعطي قيمة متميزة لأي خطاب معجماتيّ، يتجلى في استثماره لكافة التراكمات المعجميّة، والإضافات المتعددة، في ضوء الركائز المشار إليها، وأن يكون منفتحاً على مجمل الإنجازات اللغويّة والعلميّة، والأفكار الجديدة، والألفاظ المستحدثة لكي يتمكن من إغناء جاهزيّة المعجم الخاضع دوماً إلى التجديد والتطور.

وإذا نظرنا إلى تاريخ المعاجم بصفة عامة، والمعاجم العربيّة بصفة خاصة، فإننا نجدها لم تثبت على صيغة واحدة، إذ عرفت تعدد صيغها وأنواعها، ولأن ما كان يميز التراث اللغويّ العربيّ القديم هو اهتمامه المتزايد بإيجاد صيغة مثلى لخطاب معجماتيّ دال، وهذا ما يفسر اختلاف أساليبه ومناهجه عبر تاريخه الطويل، وتنوع أصنافه بدءاً من الرسائل اللغويّة ومعاجم الألفاظ، ومعاجم الموضوعات، ومعاجم المؤلفين والفقهاء والأعلام، ومعاجم الجغرافيّين والأطباء، وما له علاقة بالأعشاب والأدوية والحيوانات، وانتهاء بمعاجم اللغة انطلاقاً من المدرسة الخليليّة التي كان همها محصوراً في حصر

مفـردات اللغة، مستعملها ومهملها[13]، ومروراً بكل المعاجم التي كانت تسعى إلى إيجاد ترتيب ملائم لطبيعة اللغة، وما اكتنفه من إشكالات ظلت حاضرة في الفكر المعجماتيّ، إلى أن استقر على ضرورة اعتماد الترتيب الألفبائيّ، وإن اختلفت مساراته وتعددت توجهاته.

يحتل التراث المعجماتيّ العربيّ القديم حيزاً مهماً في الثقافة العربيّة، وقد شكل عبر مساره محطات مشعة، وفي زمن كان الاعتماد على الذاكرة والمحفوظات، وما كان متوفراً من مراجع لغويّة وأدبيّة، وضمن شروط صعبة جدّاً، ولا شك أن القيمة العلميّة لهذا التراث، جعلت أغلب المعاجم العربيّة متشابهة، ينهل بعضها من بعض دون مزيد إلا ما نذر، الأمر الذي جَمَّدَ طبيعة الخطاب المعجماتيّ، وبدلا من أن يقيم جوهره القائم على التحول والتغيير والتجديد، تحول إلى ثابت وساكن، مع العلم أن هناك فراغات لم تملأها المعاجم العربيّة القديمة، وما حاط بها من نقص في ما يخص مفردات العلوم ومصطلحاته، وما هو متداول في نصوص مستجدة.

توضح هذه المفارقة وجـود عطب في مفهـوم الخطاب المعجماتيّ، استمـر قائمـاً ولم تتـم معالجته لحد الآن.

إذا كانت البنية المعجميّة الكبرى (macrostructure) تشكل الإطار العام لمحتوى المعجم بحسب لغة متكلميه، فإن جل المعاجم العربيّة لا تتضمن مداخل اللغة التي يتكلمها العرب، فضلا عن المصطلحات العلميّة المتداولة، إذ من دونها يفقد المعجم أداته الصلبة، أي ماهية خطابه، مما يجعل متلقيه بعيداً عن فهم ما هو بحاجة إليه، وينعكس الأمر جليّاً على محتوى المعلومات المقدمة بالنسبة لكل مدخل من مداخل المعجم، أي ما يعرف بمداخل البنيّة المعجميّة الصغرى (microstructure).[14]

إذا فَقَدَ المعجم هاتين الخاصّيتين، فإنه يفقد بالضرورة ماهية خطابه، وهذا ما يدفعنا إلى القول من دون مبالغة إننا لا نملك أي معجم حديث يستحق هذه التسمية،

(13) المدرسة الخليليّة، مجموع المعاجم العربيّة التي اهتمت بالترتيب الصوتّي وهي البارع، والتهذيب، والمحيط، والمحكم.

(14) Josette Rey-Debove le lexicographie, revue langages, sept. 7, 1970, p. 25 voir aussi, Etude linguistique et sémiotique des dictionnaires français contemporains, Ed. Monton, Paris 1971, p. 258- 266 -273 -274.

يمكن أن نضاهي به مستوى بعض المعاجم الأوروبيّة، وإذا كنت قد أشرت إلى أن المكتبة العربيّة أنجزت معاجم تراثيّة موسوعيّة غنيّة بمادتها اللغويّة، وسعت إلى استقصاء جل الألفاظ في ضوء استعمالاتها، فلأن ما ألف بعدها لم يخرج عن نطاقها، بل ظل يسبح في محيطها.

يمكن في هذا الصدد استثناء مثلا المنجد[15] الذي نهل من القاموس المحيط[16] باعتباره مرجعه الأساس، وقد أضاف في طبعاته الأخيرة عدداً محدوداً من المصطلحات والكلمات الجديدة، ومعجم الوسيط الذي نهل بدوره من لسان العرب[17]، محافظاً على نسق ترتيب المادة اللغويّة بحسب اشتقاقاتها، وتمكن بدوره من إدخال عدد محدود من الألفاظ الحضاريّة، والمصطلحات الحديثة والمولدة والمعربة، وإلى جانب هذين المعجمين، هناك معجم المرجع[18] لعبد الله العلايلي الذي لم يكتمل، إلا أنه يعد نقلة نوعية في تاريخ المعجم العربي الحديث، ومعجم الرائد[19] لمسعود جبران والمعجم العربي الحديث [20] للجر خليل، ومعجم اللغة العربيّة المعاصرة [21] الذي يعد طفرة مهمة في تاريخ المعاجم العربيّة الحديثة، وإن كان لم يتخلص من الرؤية المعجماتيّة القديمة رغم حداثته. مع ضرورة الإشارة هنا إلى أن هذه المعاجم التي أشرت إليها لم تعرف أي تجديد أو تغيير في محتواها، أي أن كل طبعة جديدة من طبعاتها تخلو من أي إضافة أو تصحيح أو مراجعة، وأي معجم لا يتجدد في كل سنة أو على الأقل في كل سنتين يعتبر معجماً متجاوزاً بالضرورة. أقول إذا ما استثنينا هذه المعاجم المذكورة أعلاه بما لها وما عليها، فإن المكتبة العربيّة مازالت بحاجة إلى معجم حديث، بحسب المواصفات المعجميّة التي يتطلبها الخطاب المعجماتيّ في ضوء الأسس الحديثة للمعجماتيّة.

لا تعطى أي قيمة علميّة للخطاب المعجماتي في غياب معجم شامل لألفاظ اللغة العربيّة قديمها وحديثها، القديم، لكون عدد هائل من الكتب التراثيّة دينيّة

(15) المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، ط. 34. بيروت.
(16) الفيروزبادي، قاموس المحيط، ط. الرسالة، بيروت.
(17) ابن منظور، لسان العرب، ط. دار المعارف، مصر.
(18) عبد الله العلايلي، المرجع، دار المعجم العربي، 1964، بيروت.
(19) جبران مسعود، الرائد، دار العلم للملايين، 1964، بيروت.
(20) خليل الجر، المعجم العربي الحديث، لاروس، 1987، باريس.
(21) معجم اللغة العربيّة المعاصرة، أنجز بإشراف أحمد مختار عمر.

وفقهيّة وصوفيّة وفلسفيّة، ونصوص أدبيّة نثراً وشعراً، مازال متداولاً في أغلب أوساط قراء العربيّة، فضلا عن تداولها في المقررات المدرسيّة والجامعيّة، لأن ما يتم تداوله من ألفاظ مستحدثة، في ميادين العلوم والإعلام يجب بالضرورة أن يعرف طريقه للمعجم ليستقيم مفهوم الخطاب المعجماتيّ، وليلبي حاجة المتلقين للمعرفة.

يرتكز الخطاب المعجماتيّ على ضرورة الاشتغال في ضوء مدونة لغويّة، ولو في غياب معجم تاريخيّ للغة العربيّة، باعتباره أم المعاجم، والركن الأساس للتأليف المعجماتيّ؛ ولا شك أن غياب هذا المعجم يعد شرخاً هائلاً في الفكر اللغويّ العربيّ، حيث يفقد الخطاب المعجماتيّ بعض ركائزه ويمكن أن نشير إلى أن إنجاز معجم الدوحة التاريخي للغة العربيّة بالإضافة إلى معجم الشارقة التاريخيّ من شأنهما أن يسدا الفراغ الموجود في هذا الإطار، وهما معا سيشكلان مادة إيتيمولوجيّة سيتم الاعتماد عليهما مستقبلا.

تعتبر المدونة اللغويّة قاعدة الإنجاز المعجماتيّ لا في ما يمس متواليات المداخل، بل ما يرتبط بها موضوعيّاً، أي طريقة عرضها تعريفاً من جهة، وإيراد سياقات أو عبارات أو أمثلة مسكوكة أو متلازمات من جهة أخرى، وبذلك فإن المدونة في شموليتها تتيح اختيار شواهد أدبيّة، للتعامل مع كل مادة من مواد المداخل، لأن كل مادة أيَّ مدخل تعد نصّاً معجميّاً قائم الذات، حيث يتضمن عدداً من المفردات تحتاج بدورها إلى شروح وتفسيرات، وهذا ما يُخضِعُ المدونة لمحك جديد، إذ إن غيابها يشكل عطباً معجميّاً، يفقد الخطاب المعجماتيّ خاصّيّته، لكونها تتيح للمعجماتيّ إمكانيّة استقصاء مفردات اللغة قديمها وجديدها.

- **الخطاب المعجماتيّ واللسانيّات:**

تتيح اللسانيّات بجميع فروعها للمعجماتيّ إمكانيّة تقعيد بعض مظاهر الخطاب المعجماتيّ، مما يجعله بالضرورة يبحث عن نظريّة ملائمة وسطيّة بين اللسانيّات وصناعة المعجم لمسايرة تطورات الأبحاث اللغويّة، والوصول إلى نموذج أمثل، وبالأخص ما يتعلق بكل الدراسات اللسانيّة المهتمة باللغة المستعملة والمتداولة التي ينبغي أن تَعْرِفَ طريقها إلى المعجم، للخروج به من النمطيّة التقليديّة، أو ما يعرف باللغة الفصيحة، دون الخروج عن القواعد اللغويّة المتعارف عليها، وإذا كان التمييز بين اللغة

المستعملة (الدارجة) واللغة الفصيحة ضرورة علميّة[22]، فإن ذلك لا يعني إغراق المعجم بما ليس من ذاته وصلبه، وفي جميع الأحوال هناك مقاييس ومعايير لإدخال مفردة جديدة إلى المعجم، ولكل لغة من لغات العالم لها أساليبها الخاصة في الاعتراض عبر مراحلها التاريخيّة[23]، وما أصبح متداولًا من عبارات جديدة معاصرة، وكلمات تقنيّة، ومصطلحات عامة دخيلة ومحدثة، وما تم اقتراضه من اللغات الأجنبيّة بحكم تداوله وشيوعه.

إن ما يعطي للتعريفات وجاهتها وقيمتها المعرفيّة يتجلى في ضرورة استنباطها من الاستشهادات المقدمة والمستخرجة من نصوص الأدباء، أي ما يعرف بالتفسير الإيضاحي بالأمثلة.

تعد الاستشهادات الأدبيّة المستخرجة من المدونة مرآة صافية للمعجم، لكونها مستقاة من كتابات كتاب لهم معرفة باللغة واستعمالاتها، ويعرفون آليات اشتغالها، مما يعطيها قيمة أدبيّة ولغويّة، بالإضافة إلى الأمثال وصيغ المتلازمات، أو العبارات المتداولة عبر العصور التي قد لا يصادفها المعجماتيّ في المدونة. أي كل ما من شأنه إيضاح الاستعمال لإظهار الدلالات المتعددة للكلمة في صياغاتها المتنوعة، وهذا التوجه هو ما يعطي للخطاب المعجماتيّ وجاهته لغة وأدباً ومعرفة، عندما يحيط بأسرار اللغة العربيّة قديمها ومحدثاتها، وكل بدعة في هذا الصدد ليست ضلالة، ويمكن القول إن غياب المعجم المبتكر وغير المستوعب لطبيعة اللغة المتجددة يجعل الخطاب المعجماتي فاقداً لكل دلالته ومراميه، أي:

- معرفة اللغة معرفة دقيقة في سياق استعمالها؛

(22) عبد الغني أبو العزم، «إشكالية اللهجات في المعجم العربي» حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، بمنوبة. العدد 53، 2008.

(23) Barbara von Gemmingen, Forme et fonction des citations dans le Nouveau dictionnaire universel de Prosper poitevin, Lexique, presse universitaire du septentrion, N°12/13, dictionnaires et littérature, littérature et dictionnaires, 1995.

- Jean-Paul Colin, « Réflexions sur l'interaction entre la citation littéraire et la microstructure de l'article de dictionnaire de langue », Lexique, presse universitaire du septentrion, N°12/13.
- Michel Glatigny, « Le rôle de la littérature dans la pratique lexicographique de Littré », Lexique, presse universitaire du septentrion, N°12/13.

- معرفة معاني المفردات ودلالاتها المتعددة؛

- معرفة تطورها وما جد منها؛

- معرفة الترادف والتضاد للمفردات؛

- معرفة مصطلحات العلوم الإنسانيّة والتقنيّة.

وبالتأكيد فإن هذه المعرفة لا يمكن تحقيقها إلا بواسطة معجم ديناميكيّ وعمليّ، مفاتيحه سهلة الاستعمال، لكون إنجازه تم بحسب الشروط المعجماتيّة، وقد مر من التحري والتحقيق والتنقيب والاستقصاء، وهذا بالضبط ما تنتظره اللغة العربيّة لنقل خطابها المعجميّ عبر مداخل اللغة.